جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

القرآن الكريم في شعر جاسم الصحيّح

عبدالعزيز حمادي

قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات الأجنبية
جامعة پيام نور، إيران
yahoo.com@abd_al_aziz2001

رسول بلاوي

أستاذ مشارك
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران
r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٠٥/٠٣
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٩/٠٦/٣٠

القرآن الكريم في شعر جاسم الصحيّح

رسول بلاوي، وعبدالعزيز حمادي

الملخص

يُعدُّ النصّ القرآني مصدراً خصباً من مصادر الإلهام الشعري حيث أقبلَ الشعراء عليه، يستلهمون ويقتبسون منه، على مستوى الدلالة أو على مستوى الصياغة الفنيّة. وقد أخذ التناص مع آيات القرآن الكريم مجالاً واسعاً في شعر الشاعر المعاصر جاسم الصحيّح. اعتمد هذا البحث على سبر النصّ الشعري والتوجّه إلى تجلّي التناص القرآني عند الصحيّح، فتوظيفه لهذا الموروث الديني لا يقلُّ أهمية عن نتاج معاصريه والجيل السابق، فالصبغة القرآنية في شعره أكثر نصوعاً من الموروثات العربية والإسلامية الأخرى. استلهم الصحيّح من مضامين القرآن وألفاظه وقصصه، فتداخلت في نصّه الشعري بالأشكال المختلفة للتناص، فأثّر القرآن الكريم في شعره حتى أنَّنا نشاهد بعض عناوين دواوينه متداخلة مع النصّ القرآني. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شعر الصحيّح والكشف عن ظاهرة تعالق النصوص وتفاعلها، وتأثير ذلك في إنتاج الدلالة، لما تشكّله هذه الظاهرة من أبعاد فنية وإجراءات أسلوبية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الشعر العربي المعاصر، جاسم الصحيّح، التناص.

The productivity of the textual relationship with the Qur’an in Jassim Al-Sahih’s Poetry

Rasoul Ballawy and Abdol Aziz Hamady

Abstract

The Holy Qur'an is one of the most important inspirational texts for contemporary poets, and many poets have turned to its text so that they use the technical and thematic context of the Qur'an to compose their inspirations and adaptations in their style. Using Qur'anic connotations and its technical texture is more apparent to these poets. The intertextuality of the Qur'an has a special place in the poetry of contemporary Saudi poet Jassim al-Sahih. The present study aims to explore the place of intertextuality in this poet’s poetry because intertextuality in his poetry is equal to the great poets before him, and the importance of discovering the poet's meanings depends on finding this relationship because the Quranic text in Jassim al-Sahih’s poetry is more prominent than Arab and Islamic culture.Jassim al-Sahih is inspired by Qur'anic themes, Qur'anic words, and Qur'anic narratives, which he has shown in different ways in his poetry, so much so that even some of his poetry collections have been selected in combination with the Qur'anic text. This research aims to find the place of Quranic intertextuality in Jassim Al-Sahih’s works and to explain the influence of the Qur'an in extracting poetic texts and technical and linguistic features.

Keywords: Holy Quran; Contemporary Arabic Poetry; Jassim Al-Sahih; Intertextuality.

المقدمة

إنّ أكثر الدراسات الأدبية في الآونة الأخيرة تناولت النتاج الأدبي لأحدث الشعراء البارزين في الساحة الأدبية، حيث أنّهم واكبوا العصر، ووظفوا كلّ فنون الحداثة الشعرية والأدبية، ولا تزال الفنون الشعرية في حال تطوير وتحديث، فيستطيع الباحث من خلالها جني ثمارٍ فنيةٍ قابلةٍ للاحتفاء بها وطرحها على طاولة البحوث العلمية والأدبية، ومن بين هؤلاء الشعراء المعاصرين نستطيع أن نشير إلى الشاعر جاسم الصحيّح، الشاعر الذي استطاع أن يمثّل كلّ ما يمتلكه هذا الجيل من الشعراء بتوظيفه لجميع المظاهر الأدبية الحديثة في قصائده التي تنقسم إلى قسمين من حيث القالب الشعري: عمودية وحرة، فتمتلك قصيدته الحرة البنية الفنية الحديثة، وكذلك أخرج القصيدة العمودية من كلاسيكيتها وأعطاها روحاً حديثةً تلمسها لمسة عصرية بجميع خصائصها الحديثة، غير أنّه أُهمِلَ من قِبَل الباحثين والنقاد، ومن أهمّ ما تطرق إليه الصحيح من فنون شعرية حديثة هو التناص بأنواعه المختلفة، بيد أنّنا سنقف في هذا البحث على التناص القرآني في شعره، إذ هو أهمّ جزء قام بتوظيفه في نصوصه.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي، حيث سنقوم بعرض قصائد الشاعر جاسم الصحيّح وكشف ما كان في طيّها من تناص قرآني وصور وقصص قرآنية، وذلك في قصائده التي تستلهم مادتها من الروح الدينية والقرآنية.

نطرح في هذا البحث بعض الأسئلة ونسعى إلى إجابتها من خلال دراسة قصائد الشاعر، فهي كالتالي:

- هل توجد مظاهر لتوظيف التناص في قصائد الصحيح وكيف عالج هذا الفن الحديث في أشعاره؟
- ما هي الأغراض الفنيّة والدلاليّة للتناص القرآني في شعر الصحيّح؟

أمّا الدراسات والكتب التي تناولت نتاج الشاعر جاسم الصحيّح فقليلة جداً، من بينها: كتاب "جاسم الصحيح بين الشاعر والأسطورة" للكاتب يحيى عبد الهادي العبد اللطيف الذي يضمّ في داخله دراسة حول (شعر الصحيح المناسباتي)، ومن البحوث التي كُتبت عن الصحيح نذكر بحثاً بعنوان "في دائرة الضوء: الصحيح سيرة ذاتية"، في مجلة الواحة، وأما في موضوع التناص فكثرت الكتب والمقالات، فنذكر منها مقال "التناص بين التراث والمعاصرة" لنور الهدى لوشن، كذلك مقال لحسين جمعة بعنوان "نظرية التناص صك جديد لعملية قديمة"، الذي نشر في مجمع اللغة العربية بدمشق، ومن المقالات التي تختصّ بجاسم الصحيح نذكر مقالاً لسهى صاحب القريشي بعنوان "التناص الديني في شعر جاسم الصحيح (تناص الأحداث والشخصيات نموذجاً)".

نبذة عن حياة الصحيّح

وُلِد الشاعر جاسم محمد أحمد الصحيّحفي قرية الجفر بالأحساء، عام ١٩٦٥م (البيلي، ٢٠١٣: ٣٧)، وسط عائلة شيعية ملتزمة وبعد أن أكمل دراسته المتوسطة في مدينته انضمّ إلى شركة "أرامكو" النفطية، وبعد مرور خمس سنوات من الدراسة والعمل في تلك الشركة ذهب في سنة ١٩٨٦، إلى أمريكا حتى يكمل دراسته في جامعاتها، وهناك حيث تكشف فصول السنة عن هويتها الطبيعية الحقيقية على ضفّة المحيط الهادئ في ولاية "أوريكون" (الصحيّح، ١٤١٦هـ:٢١٤)، فحصل على البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من جامعة بورت لاند، سنة ١٩٩٠ (الجائزة، ٢٠١٣: ١٢)، وبعد عودته إلى بلده استمرّ في عمله بوظيفة مهندس ميكانيكي في شركته. شارك في المسابقات الشعرية التي تقام في العالم العربي، وحصد العديد من الجوائز، منها:

١. جائزة أفضل قصيدة من نادي أبها الأدبي مرتين على مستوى السعودية.
٢. جائزة نادي المدينة المنورة مرتين.
٣. جازة عجمان للشعر ثلاث مرات.
٤. جائزة مؤسسة البابطين لعام ١٤١٩هـ عن أفضل قصيدة على مستوى العالم العربي.
٥. جائزة الشارقة لمدة ثلاث سنوات على التوالي.
٦. جائزة عجمان للإبداع الشعري للمرة الرابعة على التوالي عام ١٤٢٢هـ
٧. المركز الثالث في مسابقة أمير الشعراء ١٤٢٨هـ
٨. المركز الأول في الدورة السابعة والعشرين لجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم في إمارة عجمان بدولة الإمارت العربية المتحدة عام ١٤٣١هـ
٩. المركز الرابع في مسابقة البردة الدولية في دورتها التاسعة، في فرع الشعر العربي الفصيح، التي أعلنت عنها وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع الإماراتية ١٤٣٣هـ
١٠. شهادة الاستحقاق والتقدير في تخصص الشعر العربي برتبة العالمية بما يعادل دكتوراه الدولة عن ديوانه «اعشاش الملائكة» من جامعة الحضارة الإسلامية المفتوحة في بيروت.
١١. جائزة أفضل ديوان شعري في مسابقة البابطين للإبداع الشعري ١٤٣٤هـ عن ديوانه «ما وراء حنجرة المغني».

إن قدرة جاسم الصحيّح على كتابة الشعر لا غبار عليها وقريحته غزيزة الإنتاج، لهذا السبب تعدّدت دواوينه الشعرية التي تكون كالتالي: ظلّي خليفتي عليكم ١٤١٤ هـ، رقصة عرفانية ١٤١٩هـ، حمائم تكنس العتمة ١٤٢٠ هـ، أولمبياد الجسد ١٤٢١ هـ، عناق الشموع والدموع، نحيب الأبجدية، أعشاش الملائكة، ما وراء حنجرة المغنّي ١٤٣١ هـ، وألنّا له القصيد ١٤٣٣ هـ (البيلي، ٢٠١٣: ٣٧).

للصحيّح ميزات شعرية تعتمد على قوة السبك ورصانة اللغة الأدبية، فشعريته مرتكزة على اللغة وعلى التلاعب باللغة، ففي نصوصه هناك اشتغال دؤوب على حرث تربة اللغة وإخراج ما في أحشائها من إمكانات ثرية تبرز في الصياغة والإشتقاق والتوليد والتأليف والتفنن في المجاز، يأتيه ذلك بطواعية وبأقلّ جهد ويتمّ بسلاسة وتلقائية مدهشة، وكأنّ الشاعر يغرف من نهرٍ جارٍ لا ينفكّ يتدفق بين يديه (البيلي، ٢٠١٣: ٣٦).

مفهوم التناص

إنَّ الدراسات النقدية في الأدب العالمي والعربي جدّدت في نوع

القراءة للنص الأدبي، ولا تزال في حال البحث عن المصطلحات الحديثة قد تسمو بالنص الأدبي إلى مستقبل أكثر نضوجاً ممّا هو عليه، فمن بين هذه المصطلحات الحديثة التي تناولها الدارسون بكثرة في الآونة الأخيرة، هو مصطلح "التناص" الذي تنوّع بأشكاله وبتعاريفه المختلفة، لكنّ الباحث في المؤلفات النقدية العربية القديمة يلاحظ أشكاله المختلفة ذات تسميات أخرى كالسرقة والاقتباس والمعارضة والتلميح. وأمّا في التعبير العصري أنّه أي التناص تداخل النصوص الشعرية أو الأدبية في بعضها، أو تداخل قصص ونصوص دينية في الشعر أو في مادة أدبية أخرى، وبتعبير آخر، التناص أو تداخل النصوص، هو استخدام النصوص التراثية المختلفة من قبل الشاعر أو الأديب بشكل فنّي لاغتناء النصّ الشعري (سليمي وطهماسبي، ١٣٩١ش: ٨٢-٨٣)، فإنّ كلّ نصّ لاحق منبثق من النصوص السابقة، لأنّ كلّ نصّ يتوالد، يتعالق، يتداخل وينبثق من النصوص في مجاهيل ذاكرة المبدع التي تمتصّ النصوص بانتظام وبثّها بعملية انتقائية خبيرة (طاهري نيا وقياسوند، ١٣٩٠شـ: ١٣٩).

التناصّ لفظ يعود إلى جذره اللغوي (نصص)، وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسّر هذا الجذر، فقد جاء أنّ النصّ: «رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصّه نصّاً: رفعه وكلّ ما أظهر فعد نصّ ... ونصّ المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض ... والنصّ: التحريك حتى يستخرج من الناقة أقصى سيرها...» (سليمان ، ٢٠٠٥: ١١-١٢).

التناص عبارة عن «حدوث علاقة تفاعلية بين نصّ سابق ونصّ حاضر؛ لإنتاج نصّ لاحق» (مرتاض، ١٩٩١: ٧٥). وهو بهذا المفهوم أمر قائم ومشروع لا مناص منه، حيث لا يمكن قصور نصّ بريء ينشئه مبدعه من درجة الصفر، إذ أنّه «لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما (مفتاح، ١٩٧٧: ١٢٣).

تقول جوليا كرستيفا وهي أول من استخدم مصطلح التناص: إنّ التناص يحيل المدلول الشعري إلى مدلولات خطابية متغايرة بشكل يمكن معه قراءة خطابات عديدة داخل القول الشعري، إنّه مجال لتقاطع عدة شفرات تجد نفسها في علاقة متبادلة (علي، ٢٠٠١: ١٢٧)، فإنّ نظرية التناص قائمة في أعلى مفهوم لها على أنّ النصّ الإبداعي إنّما هو النهر الأخير لكلّ الفروع التي تنتهي إليه (جمعة، ١٤٢٠: ٣٣٤)، وهو أيضاً إدراك القارئ للعلاقات الموجودة بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت تالية عليه (لوشن، ١٤٢٤: ١٠٢٤)، فكلّ ذلك لا يتم إلّا بسبب التأثير الحاصل من النصوص السابقة، فليست هناك كتابة مبتكرة خالصة مائة بالمائة، دون أن تكون متأثرة بغيرها، بل هو امتزاج بين "الأنا" والآخر السابق عليه ليكوّن في الأخير نصّاً جديداً، والمخزون الثقافي للإنسان بحكم المطالعة والقراءة هو الذي يصقل موهبته، لأنّ الإنسان لا يولد شاعراً أو موسيقياً (لوشن، ١٤٢٤: ١٠٢٥).

التناص القرآني في شعر الصحيّح

إنّ الثقافة الدينية التي يمتلكها الشاعر جاسم الصحيّح بارزة في نصوصه الشعرية، ذلك لأنّ منهله الديني الأساسي هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأحاديث أهل البيت الكرام (ع)، فطالما يتّبع الشخص هذه الأجزاء التي واكبت بعضها طوال الوقت، سيصبح ذا ثقافة دينية غنية وشعرية طافحة، فتضمُّ قصائد الصحيّح المزيد من التأثيرات القرآنية ونماذج من التناص القرآني بأنواعه المختلفة.

التناص القصصي

عمد الشاعر جاسم الصحيح على توظيف النصّ القرآني، واستلهم من قصصه لإثراء نصّه الشعري، فاستثمر القصة القرآنية للتعبير عن تجربته الشخصية تارة والتجارب العامة تارة أخرى، فقد «أحسَّ الشعراء من قديم الزمان بأنَّ ثمّة روابط وثيقة تربط ما بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكلّ من النبي والشاعر الأصيل يتحمّل العذاب في سبيل رسالته» (عشري زايد،١٩٩٧م: ٧٧)، فلهذا يلجأ الشاعر إلى قصص القرآن ويدخها في نصوصه للتعبير عن موقفه وما يعانيه، فنذكر هنا بعض الشواهد من مجموعة "ما وراء حنجرة المغني"، إذ يقول فيها الصحيح:

تيه يفرّخ تيهاً.. والمدى شبحٌ
يسير منتعلاً أسفلته الخشنا
و(هدهد) الوقت إن حمّلته (نبأً)
صوب (الشآم) تولّى يقصد اليمنا
يا أوّل الماء في الآبار خذ بيدي
لسدرة المبتدى وانثر عليَّ جنى (الصحيّح، ٢٠١٠: ٤٤).

ما يتجلّى من تناص قرآني في هذا النموذج كلمة "الهدهد" و"نبأ"، وذلك إشارة إلى قصة النبي سليمان (ع) عندما يرسل الهدهد لاستكشاف الماء فيتأخّر، فيتفقده سليمان، وبعد أن يأتي يبرّر موقفه، ويجيء له بنبأ عن ملكة سبأ، وذلك في الآيات الشريفة: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣) (النمل: ٢٠- ٢٣).

لكنّ الصحيّح يتحدّث عن تيهه، وهو الذي يحمّل الهدهد النبأ، ويقصد به الشام ولكنّ الهدهد يتّجة إلى اليمن عكس ما يريد، المكان الذي قصده هدهد سليمان، ولا يتّجه إلى بلدٍ آخر، وأمّا في مكان آخر يقول:

تشردت ما بين الإشارات حائراً
وطوّح بي في كلّ إيماءةٍ بعدُ
ملائكة من معدنٍ يحملونني
إلى حيث لم يبحر بزورقه الرشد
كأنّي فتىً من آل (فرعون) هالكٌ
تناوب في إغراقه الجزر والمدُّ (الصحيّح، ٢٠١٠: ٥٤- ٥٥).

مازال الشاعر يتحدّث عن حيرته باحثاً عن ملجأ لأفكاره المتبعثرة فتارة يلجأ إلى ملائكة من معدن وتارة أخرى يلجأ إلى زورق في البحر، فيصف نفسه كفتىً من آل فرعون الذين بعد تيههم عن

الرشد يغرقون في البحر، إشارة إلى الآيات الكريمة: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى(٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى(٧٩) (طه : ٧٧- ٧٩).

فشبّه نفسه بعد حيرته والإشارت التي أضلّتهُ، بقوم فرعون الذين أضلّهم إلى الغرق في اليمِّ، وفي قصيدة "ما وراء حنجرة المغني" يستخدم التناص القصصي عندما يقول:

لا تنسبوني إلى (البئر) التي اشتركت
في ظلم (يوسف) لا تستغفلوا (أبتي)
لا تبحثوا وسط (رحلي) عن مآربكم
فما هناك (صواعٌ) بين أمتعتي (الصحيّح، ٢٠١٠: ٩١).

ما جاء في هذا النموذج يشير مباشرة إلى قصة النبي "يوسف" (ع)، حيث يتحدّث الشاعر عن نفسه بالتمثيل بهذه القصة، ويُنبّه الآخرين عن استغفاله واتّهامه بما ليس له فيه، فاستلهم مفاهيمه من الآيات الشريفة التالية: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٦٢) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ(٧٠) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٧٢)﴾(يوسف: ١٥- ٦٢- ٧٠- ٧٢).

استخدم الشاعر هذه الألفاظ: "البئر"، "يوسف"، "أبتي"، "رحلي"، "صواع" بما جاء في نفس الآيات التي ذكرناها عن قصة النبي يوسف (ع) معتمداً على المضامين المستوحاة من القصة، غير أنّه أراد عدم انتسابه لهذه الأمور.

لم يخرج من هذه القصة حتى يوصلها إلى نهايتها بعد أن يتحدّث مع إخوة قلبه كما تحدّث يوسف وصفح عنهم بعد ذنبهم، فيقول:

يا إخوة القلب لم أبرح أعوّدكم
في الحب أن تخلطوا ملحاً بسكّرة
إنّي صفحت فلا تستنهضوا سبباً
يسعى إليَّ على أقدام معذرة
ما كان يوسف أحلى في وسامته
من الوسامة في صفحي ومعذرتي (الصحيّح، ٢٠١٠: ٩٢- ٩٣).

فالنصّ المستدعى يظهر في كلمة "إخوة" وصفحه ويؤكّد ذلك بذكر اسم "يوسف" فهذا ما استلهمه من الآيات الشريفة التالية: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ(٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٩٢)﴾ (يوسف: ٩١- ٩٢).

فصفح يوسف جاء بطلب المغفرة من الله عزّ وجلّ بعد اعتراف إخوته بخطئهم، مؤمناً بالمغفرة، ومن المعروف إنَّ وسامة يوسف هي من أجمل الأشياء فيه لكنَّ الصحيّح أعطاه وسامةً وجمالاً آخر وهو الصفح والمعذرة، كما أعطى لنفسه هذه الصفة الكريمة.

التناص الاقتباسي

نستطيع تعريف التناص الاقتباسي بأنَّه اجتزاء الشاعر جملة أو شطراً أو بيتاً من نصٍّ آخر وإدخاله في نصّه، «وفي مثل هذا الشكل من التناص يقوم الشاعر باستدعاء النصّ الغائب ويحضره في نصّه، حضوراً ظاهراً يكاد يلتزم فيه بعدم التصرّف، ويكثر مثل ذلك التناص حين تكون النصوص المستدعاة نصوصاً دينية، أو نصوصاً يصعب التصرّف بها ومن باب توقيرها لا يعمد الشاعر إلى تفكيكها» (ناهم، ٢٠٠٤: ٥٠)، فاقتبس الصحيح المزيد من النصوص القرآنية في مختلف دواوينه، غير أنَّنا نركز هنا على تناصاته في المجموعة التي تحت الدراسة، ففي قصيدة "خيمةٌ من الهواجس على رابية الأربعين" من نفس المجموعة، يأتي الصحيح بتناص من نوع الاقتباس الكامل للألفاظ القرآنية غير أنَّه يغيّر اتّجاه الكلام، فيقول:

وكلّما طفنا هناك على جدار خلته قلبي
فقلبي والجدار كلاهما متصدع من خشية الأيام (الصحيّح، ٢٠١٠: ٧٣).

ما تداخل في هذا النموذج من النصّ القرآني واضح وجلي في قيد كامل أو أكثر من قيد لغوي في قوله "متصدع من خشية الله" ويشير في هذه الألفاظ إلى الآية الشريفة ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الحشر: ٢١).

فالتغيير الذي أحدثه في قصيدته هو وضع لفظة الأيام بدلاً من لفظ الجلالة، ولم تكن الإشارة مفهومية أو تعطي المعنى المطلوب أو ما ماثل المفهوم القرآني للآية الشريفة، بل كانت إشارته إشارة لفظية محضة.

أمّا في قصيدة "حصانة" يعود إلى مشهد الحيرة والسؤال عن ذاته والبحث عن مرشدٍ يُعرّفه حاله ونفسه، فيقول:

وأمسك حيرتي وأشدّ كفّاً
عليها من جذائلها الطوالِ
ولا جبل تلفّت لي بوحي
يروّض وحشتي بين الجِبالِ (الصحيّح، ٢٠١٠: ١٣٣).

ذكر الشاعر "الجبل" لترويض وحشته وذلك من خلال معرفته القرآنية بالوحي الإلهي الذي نزل على أكثر الأنبياء من خلال الجبل مستلهماً ذلك من هذه الآيات الشريفة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠)؛ وأيضاً ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف: ١٤٣)؛ و﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)

ففي الآية الأولى إنّ ما أخرج النبي إبراهيم (ع) من حيرته هو

وضع أجزاء الطير على الجبال، فحصل على الاطمئنان من خلال ذلك، وفي الآية الثانية طلب موسى (ع) من ربّه أن يريه نفسه، فقال له لن تراني ولكن أرشده إلى الجبل فآمن موسى بعد ذلك، وفي الآية الثالثة قضية نزول القرآن على الجبل ولو أنّها لا تناسب قضية الخلاص من الحيرة غير أنّها قريبة إلى المعنى، فرأى الشاعر خلاصه من حيرته في الجبل، وما زالت حيرة هذا الشاعر تقوده إلى الضلال كما يقود السامري القومَ إلى عبادة العجل؛ فيقول الشاعر:

حيران يلدغني التوجّس كلّما
في خاطري دبّت قوافل نمل
ما انفكَّ يفتنني السؤال فقادني
كالسامريّ إلى عبادة العجل (الصحيّح، ٢٠١٠: ١٢٧).

قضية العجل والضلال الذي أصاب بني إسرائيل، دائماً تعكس الضلال عن الدين والفكر والتفكر الصحيح، فما أصاب الشاعر من حيرة في تفكّره عكسه بقضية العجل فاستلهم ذلك من هذه الآية الشريفة: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٥)

ذكر الشاعر كلمة "يفتنني" مستلهماً لفظه ومعناه من هذه الآية، واقتبس المفهوم والألفاظ معاً، فسؤاله يقوده إلى الضلال كما قاد السامري القوم إلى عبادة العجل وتلك هي الفتنة، نشاهد الشاعر يقتبس من القرآن ألفاظاً كاملة لكنَّه يعطيها سياقاً مختلفاً بعد أن يتمم شطره، عندما يقول:

ها نحن أرسلنا الرياح لواقحاً
حتّى أصابت من هوانا البذرة الأولى
فأخصبها اللقاح (الصحيّح، ٢٠١٠: ٢٤٨)

كأنَّما الشاعر في هذه الأشطر قد تخلّص من حيرته ووهمه، فاستطاع أن يصل إلى ضالته، وروح التفاؤل طافحة طي كلماته، وكأنَّما أخصبت وجوده واستطاع أن يكشف ذاته، فاستلهم ذلك من الآية الكريمة: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر: ٢٢)

أدخل الشاعر في نصه جملة كاملة من هذه الآية وهي "أرسلنا الرياح لواقحاً" فهذا يُعدّ اقتباساً كاملاً من الألفاظ القرآنية، ووظفها توظيفاً ذكياً حيث لاءمت الألفاظ المقتبسة موضوعَه الشعري المروم.

التناص الإشاري

يُعتبر التناص الإشاري استلهاماً للفظة أو لفظتين من نصٍّ آخر، وهو «أن يستحضر الشاعر نصّاً، أيّاً كان مصدره أو نوعه، سواء أكان قصيدة شعرية، أم نصّاً نثرياً، أم أسطورة، أم حادثة معينة،... عن طريق الإشارة المركزة، بحيث تغدو هذه الإشارة بمثابة الاستحضار الكامل لتلك النصوص، من دون أن يكون هنالك حضور لفظي كامل، أو محوّر، أو جزئي لها في النصوص اللاحقة، وغالباً ما يعتمد هذا النوع من التناص على لفظة واحدة أو لفظتين» (حلبي، ٢٠٠٧: ١٥) فلم يغفل الصحيح عن هذا النوع من التناص، ففي قصيدة "خيمة من الهواجس على رابية الأربعين" يتداخل النصّ القرآني مرة ثانية في شعره عندما يقول:

لم يسعف الشيطان وسوستي
وحبل قصائدي
ما زال أقصر ساعداً من أن يمد إلى غريق (الصحيّح، ٢٠١٠: ٧٦).

هنا يتّضح التناص عن طريق المفهوم والإشارة عندما يقول "وسوستي" يعني يريد بها ما توسوس به نفسه، ولو أنّه يطلب الإسعاف من الشيطان فهو خير معين لإرشاد النفس إلى الضلال، وذكر لفظة "حبل" ولو أنها لا تفيد المعنى المطلوب، لكنَّها حضرت عن طريق الإشارة لتستحضر هذه الآية الشريفة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(ق: ١٦).

وفي قصيدة "ما رواء حنجرة المغنّي" نشاهد التناص الإشاري لبعض الآيات القرآنية في هذا البيت:

آمنت في اللحظة الحبلى فشاغلني
فردوس دنياي عن فردوس آخرتي (الصحيّح، ٢٠١٠: ٩٦).

يعترف الشاعر بإيمانه في المصرع الأول لكنّه يبرر عدم اهتمامه بفردوس الآخرة لسبب اتّجاهه نحو فردوس الدنيا مع وجود إيمانه في الآخرة وحبّه لجنّتها وفردوسها، فاستخدامه للفظتي الدنيا والآخرة حسب مفهوم البيت جاء عن طريق الإشارة، استحضاراً للآية الشريفة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦). ولكن على ما يبدو لم يكن مفهوم البيت موافقاً تماماً لمفهوم الآية، بل استلهم منه الطباق الموجود ما بين الدنيا والآخرة، فاستبدله بفردوسين متناقضين للدنيا والآخرة،

التناص اللاشعوري

التناص اللاشعوري، أو التناص الخفاء، «وفيه المؤلف غير واعٍ بحضور النصّ أو النصوص الأخرى في نصّه الذي يكتبه، ويقوم هذا التناص في استراتيجيته على الامتصاص والتذويب والتحويل والتفاعل النصّي» (نجم، ٢٠٠١: ص ٧). نجد في شعر الشاعر جاسم الصحيح ملامحاً لهذا النوع من التناص، ففي قصيدة "ما وراء حنجرة المغني" نرى توظيفه للتناص القرآني واستلهامه للمفاهيم القرآنية متجلياً في أبياته، وهذه المرّة عن طريق اللاشعور، فمثلاً يقول:

طير النبوءة لم يبرح يُشبِّه لي
في الحلم إنّيَ مخلوق بأجنحة
نوديت من فكرتي: إهبط، هبطت لها
في البئر سلّمةً من بعد سلّمةِ (الصحيّح، ٢٠١٠: ٨٤).

يبحث الشاعر في هذا النموذج عن حقيقته، يُشبّه له طير النبوءة بأنَّه مخلوق ذو أجنحة، ويشبه ذلك بالملائكة، ولكن كلّ ذلك في الحلم وليس في الواقع، وبعد ذلك يعود إلى فكرته عن نفسه التي تقوده إلى ما تريد، فيطيعها مهما صعب الأمر، فأمره بالهبوط ولكن إلى البئر، وما رأيناه مناسباً لهذا النموذج هذه الآية الشريفة:﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(هود: ٤٨).

ربما هذه الآية لا تناسب الأبيات من حيث المفهوم ولكن من حيث اللفظ هناك اشتراك في لفظة "إهبط"، كأنّما التناص اللاشعوري لعب دوره في ذهن الشاعر، فاستطاع عن طريق اللاشعور أن يمزج هذه الألفاظ المتلائمة مع بعضها.

نتيجة البحث:

إنّ أكثر الدراسات الحديثة حول التناص تناولت نتاج شعراء الحداثة القدامى غير ملتفة إلى جزء عظيم من الشعراء الذين ظهروا حديثاً ظهوراً مكثفاً في الساحة الأدبية وأثبتوا جدارتهم في توجههم نحو كلّ ما هو حديث وعصري في قصائدهم، فمن بين هؤلاء الشعراء استطاع جاسم الصحيّح أن يكبح جماح القصيدة ويروض الشعر لقريحته المتدفقة بالإبداع، وقد توصّلنا في بحثنا هذا - بعد التطلّع إلى قصائد الصحيّح- إلى النتائج التالية:

- إنَّ جاسم الصحيّح استطاع أن يقدّم نتاجاً أدبياً ثرياً حصد من خلاله أكبر الجوائز الأدبية في العالم العربي.
- إنّ ثقافة الصحيّح الدينية جعلته يقترب إلى النصّ القرآني، ويظهر من خلاله تأثّره الكبير.
- قد تأثّر الصحيّح من القصص القرآنية فوظّفها توظيفاً دقيقاً بصورة فنية ممتازة.
- اقتبس الشاعر الألفاظ القرآنية مراعياً أسلوب التناص والتداخل النصّي.
- وظّف الشاعر المفاهيم القرآنية في قصائده فمزجها في مضامين قصائده.

-إنّ التناص القرآني عند الصحيّح ينبع عن ثقافة أدبية ودينية.

المراجع:

القرآن الكريم

البيلي، جمال، (٢٠١٣م). الفائزون بجوائز مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، الكويت، مكتبة البابطين.

جمعة، حسين، (١٤٢٠هـ ق). نظرية التناص صك جديد لعملية قديمة، مجمع اللغة العربية بدمشق، ذو الحجة/ ١٤٢٠، ٢، ٣١٧- ٣٨٠.

حلبي، أحمد طعمة، (٢٠٠٧م). أشكال التناص الشعري – شعر البياتي أنموذجاً، مجلة الموقف الأدبي، إتّحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد ٢٣٠، شباط.

سليمان، عبدالمنعم محمد فارس، (٢٠٠٥م). مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر، فلسطين، جامعة النجاح، رسالة جامعية بإشراف يحيى عبد الرووف جبر.

سليمي، علي وطهماسبي، عبد الصاحب، (١٣٩١هـ). التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، إضاءات نقدية، جامعة كرج الحرّة، صيف/ ١٣٩١، ٦، ٨١- ٩٦.

الصحيّح، جاسم، (٢٠١٠م). ما وراء حنجرة المغني"، السعودية: الدار الوطنية الجديدة، ط ١.

الصحيّح، جاسم، (١٤١٦هـ ق)، "في دائرة الضوء: الصحيّح سيرة ذاتية"، الواحة، رجب/ ١٤١٦، ٣، ٢١٣- ٢١٥.

طاهري نيا؛ علي باقر؛ پرستو قياسوند، (١٣٩٠هـ ش)، "التناص القرآني في قصة حي بن يقظان لابن طفيل"، مجلة لسان مبين، جامعة الإمام الخميني في قزوين، خريف/ ١٣٩٠، ٥، ص ١٣٨- ١٥١.

عشري زايد، علي، (١٩٩٧م)، "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر"، القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، ناصر، (٢٠٠١م)، "بنية القصيدة في شعر محمود درويش"، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١.

لوشن، نور الهدى، (١٤٢٤هـ ق)، "التناص بين التراث والمعاصرة"، جامعة أم القرى، صفر/ ١٤٢٤، ٢٦ الجزء الثاني، ١٠١٩- ١٠٤٢.

مرتاض، عبدالملك، (١٩٩١م)، "فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص"، مجلة علاقات النادى الأدبى الثقافى، جدة، ج١.

مفتاح، محمد، (١٩٩٧م)، "تحليل الخطاب الشعرى، إستراتيجية التناص"، ط١، بيروت: دار العودة.

ناهم، أحمد، (٢٠٠٤م)، "التناص في شعر الرواد"، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية.

نجم، مفيد، (٢٠٠١م)، "التناص بين الاقتباس والتضمين والوعى واللاشعور"، جريدة الخليج، ملحق بيان الثقافة، العدد ٥٥.